عشر لبنات في تربية البنين والبنات

المطوية الأولى

التربية المنشودة

أبو أيمن
أحمد بن محمود الديب

بسم الله الرحمن الرحيم

عشر لبنات في تربية البنين والبنات

إن الحمد لله نحمدهُ ونستعينه ونستغفره ونعوذُ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا ، من يهده الله فلا مضل له ، ومن يُضلل فلا هادي له ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن محمدًا عبدهُ ورسوله.

وبعد : إننا نعيش في عصر التكنولوجيا عصر السرعة في كل مناحي الحياة ، ونسمع بين الفينة والأخرى عن اختراعات في مجالات عدة ، ميزتها الأساسية اختصار الوقت ، مما جعلنا نعيش في بيئات مضطربة وصراعات عنيفة ترهقنا وتؤلمنا ؛ فمع التحول الكبير في جميع شؤون حياتنا وما رافقه من صراعات فكرية وأزمات سياسية ، ومع الإحباط الشديد الذي يعانيه كل فرد منا – إلا من رحم الله تعالى – نظل نَحِنّ إلى ذلك الملاذ الآمن تلك هي (الأسرة) التي تمتص كل ما بنا من خوف وقلق وتعب وتوتر ، تنعشنا وتمدنا وتحفزنا وتعطينا كل ما نفتقده في عالمنا الخارجي من الألفة والحب والاستقرار والانتماء ، فهي نسيج جميل من العلاقات يصل بعضها بعضا وتتدفق بمسارات متوازية وعلاقات تبادلية منشئة إحساسا بالقوة والانتماء ، وحياة مليئة بالدفء والحنان وشعوراً بالسكن والمودة والرحمة ، ولقد جعلت في تلك الصلة سكناً للنفس والعصب ، وراحة للجسم والقلب ، واستقراراً للحياة والمعاش ، وأنساً للأرواح والضمائر واطمئناناً للرجل والمرأة على السواء ، وها هو التعبير القرآني يصور هذه العلاقة الأسرية تصويراً رائعاً ، وكأنما يلتقط الصورة من أعماق القلب وأغوار الحس قال تعالى : ((وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ)) سورة الروم الآية (٢١).

هذه هي المؤسسة التي افتقدها العالم الغربي ، وينعم بها العالم الإسلامي والتي يرتكز عليها بناء المجتمع السليم المتكامل ، و المسئولة تماما عن بناء شخصية الطفل فهي بمثابة القلب في الجسد ؛ فإن الأسرة في الإسلام لها مكانتها إذ هي القاعدة الصلبة والأرضية الخصبة لتربية الرجال وتنشئة الأجيال والخلية التي إذا صلحت ، صلحت الأمة كلها ، وإذا تصدعَ بنيانُها وتزعزعت أركانها فسدت الأمة ، لذلك كان الأساس في بنائها يقوم على الزوجة الصالحة التي هي دعامة الأسرة المؤمنة ، ويقوم أيضًا على الزوج المؤمن الصالح ، ومن ثم تكون الثمرة من الذرية الصالحة التي تمثل جيلاً يعرف هدفًا ويسمو إلى غاية فيحقق لمجتمعه نفعًا وإصلاحًا.

معنى التربية و أفاقها:

إن تربية أبنائنا تقع تحت مسؤولية الجميع من ولي الأمر إلى الوالدين إلى المسجد إلى المدرسة إلى الإعلام إلى لمجتمع كله، مصداقا لقول النبي ﷺ: ((كُلُّكُمْ رَاعٍ، وَكُلُّكُمْ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ))([متفق عليه]).

التربية في الفكر الإسلامي :

إن التربية ينبغي أن تقوم على مبادئ وأصول توجه الإنسان لتحقيق ذاته والغاية من وجوده وأداء رسالته نحو الله تعالى ثم مجتمعه ، وتتطلع التربية الإسلامية إلى تربية الإنسان تربية متكاملة بكل أبعاد ها العلمية والعملية السلوكية والأخلاقية الفردية الاجتماعية ، وتهدف هذه التربية إلى الإيمان بالله تعالى ، وتربية الجسم تربية متوازنة ، وإنماء العقل والضمير والوجدان ، وتوكيد مبدأ ربط العلم بالعمل ، القول بالفعل ، السلوك بالأخلاق العمل بالإحسان ،والتربية هنا متجددة مستمرة ، هذا النموذج يعد مطلباً ملحا للمجتمعات الإسلامية المعاصرة . قال تعالى : ((يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَائِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ)) [التحريم: ٦]. ، وكلما اتسعت دائرة الحساب، فمسؤولية العبد بادئ ذي بدء عن نفسه أما وقد تزوج وأنجب أبناءا فيتسع الأمر بعد ذلك، تبعة ومسؤولية وحسابا بين يدي الله عز وجل، عن نفسه وزوجه وأبنائه، وخير ما يصلح الأبناء هي التربية الصالحة.

وأما لتربية في الفكر الإنساني :

يقولون : أن التربية عملية إنسانية ، ينبغي أن تركز على الإنسان وكرامته وحريته وإبراز إمكانياته وقدراته العقلية النفسية الوجدانية والجسمية وتنميتها ؛ فهي تفتح المعرفة الإنسانية أمام الجميع دون حواجز اجتماعية واقتصادية ويؤكد على مبدئ التعاون الانساني .

فلابد من العناية بتربية أبنائك حتى تنتفع بهم في حياتك وبعد مماتك في آخرتك، في حياتك بأن تقر عينك برؤيتهم والذين يقولون: ((رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا [الفرقان: ٧٤]، يقول عكرمة : والله ما أرادوا صباحة وجوه أبناءهم ولا جمال أجسادهم إنما أرادوا أن تقر أعينهم بصلاحهم وأن يكونوا مطيعين لله عز وجل .، ثم بعد مماتك فالأجر متصل لقول النبي ﷺ: ((إِذَا مَاتَ ابْنُ آدَمَ انْقَطَعَ عَمَلُهُ إِلاَّ مِنْ ثَلاثٍ : صَدَقَةٍ جَارِيَةٍ ، أَوْ عِلْمٍ يُنْتَفَعُ بِهِ ، أَوْ وَلَدٍ صَالِحٍ يَدْعُو لَهُ))(رواه مسلم).

التربية المنشودة:

إن الإنسان ذكراً كان أو أنثى يحتاج إلى التربية ، فإنما يولد صغيراً مجرداً عن كل مميزات الرجولة أو الأنوثة ، فكما أن البدن في الابتداء لا يخلق كاملاً وإنما يكمل ويقوى بالنشوء والتربية بالغذاء ، فكذلك النفس تخلق ساذجة قابلة للكمال ، ولذا صار من وجوب العين العناية بتربية الأبناء وتهذيب أخلاقهم ، وتغذيتهم بالعلم وتدريبهم على عمل يقومون به في حياتهم ، ويقوّمون به أود عيشهم .

ولكنه لا يجب أن يوكل أمر تربية الأبناء إلى أنفسهم ، أو يترك لاختيارهم ما يرونه وسيلة لعيشهم ؛ فإن ذلك يستدعي خبرة وممارسة لا يستطيعون اكتسابهما في وجيز عمرهم ، إلا أن للتربية والتعليم أصولاً يجب معرفتها .

وإن التربية المنشودة هي التي تحقق غايات و أهدافلمجتمع وفق عقيدته وقيمه ؛ وإن التربية المنشودة ليست شيئًا سهلاً ، إنها معاناة وجهد يقوم بهما المربِّي والمربَّي معًا ، وتشترك في تحقيق النتيجة عناصر أخرى ، في مقدمتها : البيت والبيئة والدولة كما يشترك الماء والشعَاع ، والحر أو البرد في إنضاج الثمار ، ومع أن هذه المهمة التربوية تحتاج إلى جهد وخبرة ووقت ؛ فإن هناك من يستعجلون العملية التربوية ، ويظنون أن التربية كالصناعة المادية ، حيث نضع الخامة مثلاً : من القطن أو الصوف أو الحديد المراد تصنيعه في جانب ، لنتلقاها من جانب آخر منتجاً رائعاً كالملابس والقماش والغسالات والثلاجات والسيارات و..... ؟؟ فهذا خطأ كبير ، لأن التربية الإنسانية الفعلية بطيئة بطء لنمو الجسماني ، فتربية الأفكار والعقائد وآداب السلوك يحتاج من الزمن ما يحتاجه النمو الجسماني .

إن التربية المنشودة ليست دروساً تلقى و فقط ، أو موعظة تلقى على المنبر وفقط، أو دورة هنا و دورة هناك في فن التنمية البشرية السريعة ، أو ندوة على إحدى الفضائيات وفقط، ، أو برنامجا إذاعيا ، أو نصيحة مدرس وفقط، فهذا وحده لا يصنع جيلا ، – وإن كان له أثر– ، وهذا كلهليس سوى وسائل للثقافة العامة.

إن التربية المنشودة أكرر وأقول : تحتاج إلى جهد وخبرة وقت ؛ فلقد مكث النبي ﷺ بعد بعثته ثلاثة عشر عاماً في مكة يربي أصحابه . رضي الله عنهم . ويرسخ فيهم العقيدة الصحيحة ، والتي هي أساس البنيان ، فطهرت القلوب والعقول ، وسمت الأرواح ، فجاء مجتمع المدينة مجتمعاً فريداً من نوعه ، لأن الذي بناه جيل فريد ، تربى على يد خير خلق الله أجمعين ، وهو خير مرب ، وخير قدوة ﷺ، وبهذه العقيدة الصحيحة ، وبهذا الإيمان اليقظ ، استقام المسلمون على أمر الله تعالى .

الوصول إلى التربية المنشودة

ومن أجل الوصول إلى التربية المنشودة فلابد من تجانس وتناسق العناصر المؤثرة في التربية ، أي لابد أن ينتظمها ولاء واحد ، وأن تتدافع إلى هدف واحد ، فإذا كان البيت مسلمًا متمسكاً بتعاليم الدين فإن عمله سيبطل أو يضعف إذا كانت الحكومة التي تقود الدولة علمانية أو ليبرالية أو اشتراكية والمدرسة مدنية .

إن الخلل الذي نلاحظه على المسلمين اليوم يعود كفل ضخم منه على هذا التق اطع والتدابر والتضاد في وسائل لتوجيه ، فإن – الاستخراب العالمي – أعني به ما يسمى بالاستعمار – استمات في إقامة أجهزة اجتماعية واقتصادية وسياسية تضرب التربية الإسلامية بخبث وقساوة ، في الصميم ، وأعانهم على ذلك قوم آخر ون هم من جلدتنا ويتكلمون بألسنتنا فقد جاءوا ظلماً وزورا ؛ فأقاموا المحاضن التربوية الغربية التي عملت على تربية الجيل على الثقافة الأجنبية الإنجليزية أو الفرنسية أو الألمانية فكانوا يتشربون هذه الثقافة الأجنبية الإنجليزية أو الفرنسية أو الألمانية من خلال نموهم في ذلك الوسط الثقافي الغريب عن ثقافة التربية الإسلامية .

ذلك الوسط الثقافي الذي يتمثل في نظام التعليم واتجاهاته ومناهجهم ، وفي كل البيئة المدرسية التي يعيش فيها التلميذ ويتكيف معها ، فيصبح فرداً أجنبياً في لغته واتجاهاته وسلوكه وأخلاقه ، فإن ما يكتسبه الطفل في تلك المرحلة من ثقافات غربية ، هي ما يكمل بها حياته دون تغيير ، بل كل ما يضاف بعد ذلك عبارة عن تطور لتلك المكتسبات، وزيادتها بحكم السنوات، فهي مرحلة وضع الأساسات التربوية التي نبني عليها أدوار اً فمهما زاد البناء وارتفاع يظل الأساس ثابت ا لا يتغير ، وهو بهذ ه التربية المشبوهة يكون قد انعزل فكرياً واجتماعياً وسياسياً عن ثقافة بلده ومجتمعة الإسلامي فما ينجو إلا من عصم الله تعالى ..

لذا حرصت الشريعة الإسلامية الحقّة على تربية الطفل، واهتمّت ببناء شخصيّته بناء سليماً؛ محصّنة إيّاه عن أشكال الانحراف وأنواع العقد السلوكيّة، وشتّى الأمراض النفسيّة الخطيرة والعادات السيئة القبيحة.

وعلى أساس من مبادئها الإنسانية وقيمها الصالحة، فإنّ بناء شخصيّة الطفل في الإسلام ماهو في الحقيقة إلاّ عمليّة بناء المجتمع الإسلاميّ، وتمهيد لإقامة الحياة والدولة والقانون والحضارة، وفقاً للمبادئ الإسلاميّة المباركة، تحقيقاً لسعادة الإنسان، في الدنيا والآخرة ، وتحصيناً لمقوّمات المجتمع، وحفظاً لسلامة البشرية وخيرها.

نجاح التربية المنشودة

إنّ نجاح التربيةَ المنشودة ونجاح الأهداف الإسلاميّةَ ، وسعادة الفرد، وسلامةَ المجتمع ، تتوقّف على سلامةَ عمليّةَ التربيةَ؛ ممّا يدعو المسؤلين أفراداً وحكومات لأن يُكرّسوا جانباً كبيراً من جهود هم وممارساتهم واهتماماتهم لتربيةَ الطفل وإعداده إعداداً سليماً، ليكون فردا صالحاً وعضواً نافعاً في المجتمع الإسلاميّ، وليكون له دورٌبنّاء وفعّال في الحياة، ويكون مهيّأً للعيش السليم في كنف الإسلام العظيم، منسجماً في واقعه ونزعاته الذاتيةَ مع القانون الإسلاميّ، ونظم الحياة الإسلاميّةَ السائدة في مجتمع الإيمان بالله عزّوجلّ.

نذا، يتعيّن في ظلّ التعاليم الإسلاميّةَ على الأبوين التكليف في إعداد الطفل وتربيته وتعليمه منذ نشأته الأولى ؛ فإن الأطفال يولدوا على الفطرة النقيّةَ كما قال ﷺ في الحديث المتفق عليه : ((كُلُّ مَوْلُودٍ يُولَدُ عَلَى الْفِطْرَةِ فَأَبَوَاهُ يُهَوِّدَانِهِ وَيُنَصِّرَانِهِ، كَمَا تُنَاتَجُ الإِبِلُ مِنْ بَهِيمَةٍ جَمْعَاءَ هَلْ تُحِسُّ مِنْ جَدْعَاءَ؟)) فالأطفال يتعلمون الصدق والأمانة شيئا فشيئا من البيئة إذا كان المحيطون بهم يراعون الصدق فى أقوالهم ووعودهم ..ولكن إذا نشأ الطفل فى بيئة تتصف بالخداع وعدم المصارحة والتشكك فى صدق الآخرين بل و يرفع فيها شعار : (أكذب أكذب حتى يصدقك الآخرون) ؛ فاغلب الظن أنه سيتعلم نفس الاتجاهات السلوكية فى مواجهة الحياة وتحقيق أهدافه، والطفل الذى يعيش فى وسط لا يساعد فى توجيه اتجاهات الصدق والتدرب عليه ، فإنه يسهل عليه الكذب خصوصا إذا كان يتمتع بالقدرة الكلامية ولباقة اللسان ، وإذا كان أيضا خصب الخيال... فكلا الاستعدادين مع تقليده لمن حوله ممن لا يقولون الصدق ويلجئون إلى الكذب وانتحال المعاذير الواهية ويدربانه على الكذب من طفولته؛ فإن الكذب يصبح مألوفا عنده ؛ فالعالم اليوم كله يكذب – إلا من رحم الله تعالى – ، دول تكذب على بعضها ، وكذلك الأفراد ، الأخطر من هذا وذاك ، كذب الأنظمة على شعوبها.

إنّ الطفل ـ كإنسان ـ وهبه الله عزّ وجلّ العقل والذكاء، وخلق فيه ملكة التعلّم والاكتساب و التلقّي، فهو منذ أن يفتح عينيه على هذه الدنيا يبدأ عن طريق الحسّ بالتعلّم واكتساب السلوك والآداب والأخلاق، ومختلف العادات، وكيفيّة التعامل مع الآخرين ؛ فهل ما تقوم به المدارس اليوم يتفق مع دور التربيةَ المنشودة؟ وهل يؤدي إلى نجاح العمليةَ التربويةَ المنشودة ؟

أنّ محيط الأسرة وط بيعة تعاملها وطر يقة تفكيرها، وما تحمله من القيم السلوكيّة الذي يعيش الطفل فيه له دور خطير ومؤثّر في تحديد معالم شخصيته مستقبلاً وطريقة تعامله مع الآخرين ، وتنمية مواهبة الفردية ؛ فكلّ ذلك يؤثّر تأثيراً مباشراً وعميقاً في تكوين شخصيّة الطفل، ويتحدّد قالبها الذي سوف يتّخذه الطفل مستقبلاً، سواء كانت تلك العائلة سليمة ومؤمنة ومستقيمة ومتمسكة بتعاليم الإسلام السامية، فيخرج الطفل فرداً صالحاً وإنساناً طيّباً وسعيداً، أو كانت من العوائل المتحلّلة المنحطة ، فتخرج طفلها إلى المجتمع فرداً فاسداً مجرماً شقيّاً –ولا حول ولا قوة إلا بالله – ولما قيل : (من شبّ على شيء شاب عليه)..

وقد أثبتت الأبحاث التربويّة كذلك أنّ تكوّن شخصيّة الطفل منذ صغر سنّه يؤثّر تأثيراً مباشراً قويّاً في نظرته إلى نفسه ، فإن لمس الرعاية والمحبّة والعاطفة السليمة والحنان والاهتمام والتقدير والتشجيع والمكافأة بين أفراد أسرته؛ أشرقت صورته في نفسه و تطيّبت، ونمت قدراته ومواهبه وإبداعاته وابتكاراته، وأصبح يشعر بإشراقة مضيئة تشعّ من ذات شخصيته فتؤهّله للقيام بدور فعّال في حياته العائليّة، ومن ثمّ المدرسية ، والأخلاقيّة ، والعلمية ، والعبادية والفكرية ، والمهنيّة والاجتماعيّة.

لقد أثبتت كثير من الدراسات والتجارب أن ٥٠% من ذكاء الأولاد البالغين السابعة عشرة من العمر؛ يتكوّن بين فترة الجنين وسنّه الرابعة، وأنّ ٥٠% من المكتساب العلميّة لدى البالغين من العمر ثمانية عشر عاماً تتكوّن ابتداءً من سنّ التاسعة،وأنّ ٣٣% من استعدادات الولد الذهنيّة والسلوكيّة والإقدامية والعاطفيّة يمكن معرفتها في السن الثانية من عمره، وتتوضح أكثرفي السنّ الخامسة بنسبة٥٠ %.

من هنا جاء التأكيد في التربية الإسلاميّة على القيم والأخلاق والمبادئ، كحقائق مستقلّة متعالية على تأثيرات الواقع؛ ليسلم هو بذلك، وليسلم المجتمع الذي يعيش فيه من انحرافاته وآثاره السلبيّة.

وإن كثيرًا من الآباء لا يهتمون بهذه التربية الإسلامية ، وهذا يدل على غفلتهم عنها فإن من حق الولد على أبيه أن يعتني بتربيته ، ولكن مع الانشغال بما يسمى بالحضارة الغربية عزف كثير من الآباء – إلا من رحم الله تعالى – عن هذه التربية واستبدلوها بأسس تربوية غربية ليست من صبغة الإسلام مما ينافي عقيدتنا وأخلاقنا وسلوكنا وعاداتنا الإسلامية. من أجل ذلك كله جمعت **عشر لبنات في تربية البنين والبنات** .